تقديم

يؤرخ العالم الإسلامى كله بهجرة النبى العربى من مكة إلى المدينة . والسر فى اختيار هذا الحادث العظيم مبدأً للتاريخ الإسلامى أنه مبدأ نصر الله رسوله على الذين حاربوا دعوته فى البلد الحرام ثم مكروا به ليقتلوه . وكان الصدّيق أبو بكر هو وحده صاحب رسول الله فى هذه الهجرة . ولما مرض رسول الله مرضه الأخير ، فلم يقو على الصلاة بالمسلمين ، أمر أبا بكر أن يقوم فى الصلاة بهم مقامه ، ولم يرض أن يقوم عمر بن الخطاب هذا المقام .

اختيار النبى الصديق فى الهجرة والصلاة بالمسلمين

وإنما اختار النبى أبا بكر ليصحبه فى الهجرة . وليصلى بالمسلمين مكانَه ، لأن أبا بكر كان أول المسلمين إيمانًا بالله ورسوله ، وأكثرهم فى سبيل إيمانه تضحية . ولأنه حرص منذ أسلم على معاونة النبى فى الدعوة لدين الله وفى الدفاع عن المسلمين ، ولأنه كان يؤثر النبى على نفسه ، ويقف إلى جانبه فى كل موقف ؛ ثم إنه كان ، إلى قوة إيمانه ، من أدنى الناس إلى كمال الخلق ، ومن أحب الناس إلى الناس وأكثرهم إلفًا لهم ومودّة .

لا عجب . وذلك بعض شأنه ، أن يبايعه المسلمون خليفة لرسول الله . ولا عجب ، وتلك مواقفه ، أن ينصر الإسلام وينشر ظل الله فى الأرض ، فيكون التأريخ له مبدأ التأريخ للإمبراطورية الإسلامية التى امتدت من بعد فى الشرق وفى الغرب ، إلى الهند والصين فى آسيا ، وإلى مراكش والأندلس فى أفريقية وأوربا ، والتى وجّهت الحضارة الإنسانية وجهة لا يزال العالم متأثراً بها إلى اليوم .

ما أغرانى بالتفكير فى دراسة الإمبراطورية

ولقد جال بخاطرى ، مذ فرغت من كتابىّ « حياة محمد » و « فى منزل الوحى » ، أن أقوم بدراسات فى تاريخ هذه الإمبراطورية الإسلامية ، وفى أسباب عظمتها وانحلالها . وإنما أغرانى بالتفكير فى هذا الأمر أن الإمبراطورية الإسلامية كانت أثراً لتعاليم النبى العربى وسنته . أما وقد درست حياته صلى الله

عليه وسلم ، ورأيت نتائج هذه الدراسة جديرة بأن تهدى الإنسانية طريقها إلى الحضارة التى تنشدها ، فإن فى دراسة هذه الإمبراطورية وأطوارها ما يزيدنا قدراً للتأسى بالرسول وتعاليمه ، وما ييسر لنا حظًّا جديداً من العلم بهذه الحياة الباهرة الجلال يزيد العلماء اقتناعًا بما دعوت إليه من إمعان البحث فيما تنطوى عليه من حقائق نفسية ، وأخرى روحية ، ما يزال العلم يقف بوسائله حائراً دونها ، لا يستطيع أن يثبتها بأدلته ، ولا يستطيع مع ذلك أن ينفيها ، وهى من بعد قِوامَ سعادة الإنسان فى الحياة ومقوِّم سلوكه فيها .

وأغرانى بهذا التفكير كذلك ما أعتقده من أن معرفة الماضى هى وحدها التى تطوِّع لنا تصوير المستقبل وتوجيه جهودنا أثناءه إلى الغاية الجديرة بالإنسانية . فالماضى والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل إلى انفصامها . ومعرفة الماضى هى وسيلتنا لتشخيص الحاضر ، ولتنظيم المستقبل ؛ كما أن معرفة الطبيب ماضىَ مريضه خير وسائل التشخيص والعلاج .

والحاضر الذى تمخضت عنه الإمبراطورية الإسلامية يتناول بنوع خاص كل الشعوب التى تتكلم العربية ، وتؤمن لذلك بأنها تمتُّ لأهل شبه الجزيرة بصلة ونسب . ومصر مركز الدائرة من هذه الشعوب : تمتد حولها فلسطين وسوريا والعراق إلى الشرق ، وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش إلى الغرب . ويتناول هذا الحاضر بنوع عام جميع الشعوب التى تدين بالإسلام فى آسيا وأفريقيا وأوربا . لا جرم وماضى الإمبراطورية الإسلامية يربط على الزمان هذه الأمم والشعوب كافة أن تكون دراسته موضع عنايتها جميعًا ، وأن يرى كل منها صورته إلى أربعمائة وألف سنة خلت ماثلة فى هذه الدراسة ، وأن يتعرف من طريقها الأسباب التى أدت إلى ما أصاب هذه الصورة من شَوْهٍ أو فساد ، وأن يلتمس الوسيلة من طريق هذا التعرف لرد الصورة إلى جلالها الأول وبهائها المضىء .

وإنى لأفكر فى هذه الأمور وفيما يتصل بها إذ رغب إلىّ جماعة ممن أبدوا الرضا عن « حياة محمد » أن أتناول حياة خلفائه الأولين بالبحث ، وأن أفرد لطائفة من أبطال المسلمين فى العهد الأول تراجم مستفيضة ، أسجل فى كل

واحدة منها سيرة واحد من هؤلاء الأبطال . ولئن أرضى مطلب هؤلاء الأصحاب نفسى وتملق رضاى عنها لقد أشفقت عليها مما طلبوا ؛ فهو أمر يقصر دون إتمامه الجهد ، وتنوء بإحسانه جماعة متضافرة .

ما جعلنى أبدأ بسيرة الصديق

وكانت الترجمة لعمر بن الخطاب ، مما أكثر الحديث فيه قوم رأوا سيرة الفاروق غرة فى جبين التاريخ الإسلامى. قلت عند ذلك فى نفسى : ومالى لا أبدأ بسيرة الصدّيق فأدرُسها وأعرضها على النحو الذى عرضت به « حياة محمد » ! لقد كان أبو بكر صفىّ محمد وخليله ، وكان أكثر أصحابه اتصالاً به ، وكان لذلك أكثرهم تتبعاً لتعاليمه وامتثالاً إياها . وهو بعدُ رجل رقيق الخُلق ، رضىّ النفس ، وإليه ينتسب عشرات الألوف ومئاتها من المسلمين المنتشرين فى أنحاء الأرض . ثم إنه ، إلى رفقه ورقته ، هو الخليفة الأول ، وهو الذى أقر الإسلام حين حاول المرتدون من العرب أن يقوّضوا ركنه أو يثلموا متنه ، كما أنه هو الذى مهّد للفتح وللإمبراطورية . فلعلّى ، إذا وفقت لتدوين سيرته على النحو الذى أرجو ، أكون قد عبّدت الطريق لكتابة تاريخ هذه الإمبراطورية كله أو بعضه ، فأبلغ بذلك ما يريد الله أن أبلغه من هذا الغرض العظيم ، وأمهد السبيل لمن شاء أن يتمه أو يأخذ فيه من جديد على نحو أدنى إلى الكمال .

عظمته

ولو أنى قرّ بى الجهد عند سيرة أبى بكر لكفانى ذلك ولاغتبطت به . وحسبك أن تتلو ما حدث فى عهد الخليفة الأول لتسكن إليه وتستقر عنده . إن فيما رواه المؤرخون من وقائع هذا العهد لما ينطوى على عظمة نفسية تثير الدهشة ، بل الإعجاب ، بل الإكبار والإجلال ، وأخشى أن أقول إنها تدعو إلى التقديس . أنت لا ترى هذه المعانى مصوَّرة فى أىّ من الكتب الأولى ؛ لكن روايتها للحوادث تبْرزها وإن لم تنطق بها ، وتجلوها بينة واضحة وإن لم تذكرها ولم تحدّث عنها .

فهذا الرجل الوديع السمح الأسيف السريع إلى التأثر وإلى مشاركة البائس فى بؤسه ، والضعيف فى ضعفه ، تنطوى نفسه على قوة هائلة لا تعرف التردد ولا الإحجام ، وعلى قدرة ممتازة فى بناء الرجال ، وفى إبراز ملكاتهم

ومواهبهم ، وفى دفعهم إلى ميادين الخير العام ينفقون فيها كل ما آتاهم الله من قوة ومقدرة .

أين كانت هذه العبقرية التى انطوت عليها نفس أبى بكر أثناء حياة الرسول ؟

عدت بالذاكرة إلى سيرة أبى بكر قبل خلافته ، واستحضرت مواقفه من رسول الله ، فبدت لى فى ثوب جديد من الجلال تحيط بها هالة من عظمة تواضعت إلى جانب عظمة الرسول وجلاله ؛ لكنها برزت أمامى بكل بهائها وجلالها حين قرنت صاحبها إلى سائر أصحاب رسول الله ومن اتبعه من المسلمين . فأين مواقفهم ، على جلالها وعظمتها ، من مواقفه أول الرسالة ، وحين كانت قريش تنال رسول الله بالإساءة والأذى ، وحين كان حديث الإسراء ، وأول الهجرة ، وفى مكافحة دسائس اليهود بيثرب ؟ ! ! إن كل موقف من هذه المواقف لكفيل وحده بأن يؤرخ لرجل وأن يثبت اسمه فى كتاب الخلود . وعظمة أبى بكر مع ذلك هى العظمة الصامتة التى تأبى أن تتحدث عن نفسها ؛ لأنها عظمة الروح وعظمة الإيمان الحق بالله وبما أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

حسن رأيه وبعد نظره

ثم ماذا ! ! ثم إن رواية الحوادث فى عهد أبى بكر تشهد له بحسن الرأى وبعد النظر . فهو حين يفكر فى غزو الفرس وفى غزو الروم لأول ما اطمأن إلى موقف المسلمين من حروب الردة فى بلاد العرب ، قد رأى فى مبدأ المساواة الذى جاء الإسلام به قوة جديدة لا تستطيع فارس ولا تستطيع بُزَنطية أن تواجهها . فهذا المبدأ جدير بأن تهوى إليه نفوس الناس جميعًا فى هاتين الإمبراطوريتين اللتين قامتا على حكم الفرد وعلى نظام الطوائف وعلى التفاوت بين الناس . ليكن لكل من الإمبراطوريتين ما تشاء من عدد وعُدة ؛ فإن فكرة المساواة والعدل أقوى من كل قوة . والحكم القائم على أساس هذه الفكرة جدير بأن يكسب الناس إليه ما كان الإنصاف أساسه . لذلك لم يصد أبا بكر عن غزو العراق وغزو الشام ما كان من اختلاف طائفة من كبار الصحابة معه فى الرأى ، بل أمر بهذا الغزو مطمئنًّا إلى أن الله معينه وناصره . ولذلك نصح

إلى من بعثهم على رأس هذا الغزو أن يتمسكوا بالمساواة وبالإنصاف والعدل لا يحيدون عنها قيد أنملة .

تتجلى هذه المعانى واضحة كل الوضوح من خلال الحوادث التى رواها المؤرخون الأولون عن هذا العهد القصير العظيم الذى تولى الصدّيق فيه أمر المسلمين . ويزيد ما كتبه المستشرقون بعض هذه المعانى وضوحًا بما أوردته كتبهم من ملاحظات ، وما حاولت أن تفسر به بعض الحوادث .

وهذه المعانى هى التى تجعل هذا العهد القصير خليقًا أن يفرد له سفر مستقل يصور ذاتيته الخاصة وتكوينه التام .

ما يتميز به عهده

وأنا أقصد ما أقول حين أذكر أن عهد الصدّيق له ذاتيته الخاصة وتكوينه التام فهو ، على اتصاله بعهد الرسول قبله وبعهد عمر بعده ، يمتاز بطابع يشخّصه . فعهد الرسول كان عهد وحى من عند الله ، أكمل الله به للناس دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى لهم الإسلام دينًا . وعهد عمر كان عهد تنظيم للحكم الذى استقرت قواعده ، وللإمبراطورية التى تفتحت أبوابها . أما عهد أبى بكر فكان فترة الانتقال العصيبة الدقيقة التى تربط بين هذين العهدين ، وتتميز مع ذلك عن كل منهما ، بل تتميز عن كل عهد عرفه الناس فى تاريخ الحكم واستقراره ، وفى تاريخ الأديان وانتشارها .

تغلبه على ما صادفه من صعاب

فى هذه الفترة الدقيقة صادفت أبا بكر صعابٌ بلغت من الشدة أن أثارت مخاوف المسلمين جميعًا فى أول عهده . فلما تغلب بفضل إيمانه عليها ، وأمده الله بالتوفيق والنصر فيما تلاها ، تولى عمر بن الخطاب سياسة المسلمين ، فدبر أمورهم ، وأقام بينهم عدلا وطّد قواعد ملكهم ، وجعل دول العالم تدين طائعة لسلطانهم .

أثارت الصعاب التى صادفت أبا بكر مخاوف المسلمين . ذلك لأن الوحدة العربية التى تمّت فى عهد الرسول لم تلبث أن اضطربت حين وفاته . بل لقد بدأت نُذر هذا الاضطراب قبل أن يختار الله رسوله إليه . تنبأ مسيلمة بن حبيب باليمامة وبعث رسله إلى النبى بالمدينة يقولون له إن مسيلمة نبى مثله ، « وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشًا قوم لا يعدلون » .

وتنبأ الأسود العنسى باليمن وادعى السحر ، وجعل يدعو الناس إليه خفية ، حتى إذا عظم أمره سار من الجنوب وطرد عمال محمد ، وتقدم إلى نجران ونشر فى تلك الأصقاع سلطانه ؛ وبعث محمد إلى عماله باليمن كى يحيطوا بالأسود أو يقتلوه . هذا إلى أن العرب الذين آمنوا بالتوحيد ونبذوا عبادة الأوثان لم يدر بخاطر أحدهم أن تعقب وحدتهم الدينية وحدة سياسية ؛ بل إن كثيراً منهم راجعهم الحنين إلى عقائدهم الأولى ، فلم يلبثوا حين علموا بوفاة رسول الله أن ارتدوا عن دين الله ، وأن أعلن أكثر القبائل عدم الإذعان لسلطان المدينة ، وعدّوا الزكاة إتاوة مفروضة فامتنعوا من أدائها .

الثورة فى بلاد العرب وحروب الردة

استطارت هذه الثورة عقب وفاة الرسول فى بلاد العرب جميعاً بسرعة مروّعة كما تستطير النار فى الهشيم . وبلغت أنباؤها أهل المدينة ممن حول أبى بكر بعد أن بايعوه ، فتولاهم الدهش واختلفوا ما يصنعون . وكان رأى قوم ، بينهم عمر بن الخطاب ، ألا يقاتلوا الذين منعوا الزكاة ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ولعلهم أرادوا بذلك ألا يزيدوا عدد عدوهم فيتغلب عليهم ، ولم يعدهم الله ما وعد رسوله من النصر ، وليس ينزل الوحى على أحد منهم بعد أن اختار الله إليه خاتم الأنبياء والمرسلين . لكن أبا بكر أصر على قتال من منعوا الزكاة كما أصر على قتال من ارتدوا ، فكانت حروب الرّدة التى استطالت عاماً وبعض عام .

ولم تكن حروب الردة غزوات اشتبك فيها بضع مئين من جيش الخليفة وبضع مئين من خصومه ، بل كانت بعضها طاحنة اشترك فيها عشرات الألوف من كل جانب ، وقتل فيها المئات بل الألوف من هؤلاء ومن أولئك ، ثم كان لها فى تاريخ الإسلام أثر حاسم . ولو أن أبا بكر نزل على رأى من لم يريدوا هذه الحروب لساد الاضطراب بلاد العرب ، ولما قامت الإمبراطورية الإسلامية . ولو أن جيوش أبى بكر لم تنتصر فى هذه الحروب لكانت العاقبة أدهى وأمرّ ، ولتغير فى الحالين مجرى التاريخ فى العالم كله . لذلك لا يكون غالياً من يقول إن أبا بكر ، بموقفه من ردّة العرب ، وبانتصاره فيها ، قد وجه تاريخ العالم ، وكان يدّ الله فى بعث الحضارة الإنسانية خلقاً جديداً .

آثار انتصاره فى حروب الردة

فلولا انتصار أبى بكر فى حروب الردة لما بدأ غزو العراق وغزو الشام ، ولما سارت جيوش المسلمين مظفَّرة تفتح الإمبراطوريتين الرومية والفارسية لتقيم الإمبراطورية الإسلامية على أنقاضهما ، ولتُحِلَّ الحضارة الإسلامية محل حضارتيهما . ولولا حروب الردة ، واستشهاد من استشهد من الصحابة لإحراز النصر فيها ، لخيف ألا يسارع عمر فيشير على أبى بكر بجمع القرآن . وهذا الجمع هو الذى أدى إلى توحيد القراءة بلغة مُضَر فى عهد عثمان ، فظل كتاب الله الكريم أساساً ثابتاً لكلمة الحق ، ودعامة متينة للحضارة الإسلامية . ولولا نصر الله المسلمين فى حروب الرِّدة لخيف ألا يقر أبو بكر نظام الحكم فى المدينة ليقيمه عمر من بعده على أساس من الشورى ، سَداه العدل والرحمة ، ولُحمته البر والتقوى .

هذه أحداث جليلة تمت فى فترة قصيرة لم تعدُ سبعة وعشرين شهراً . ولعل قصر هذه الفترة هو الذى دعا بعضهم إلى أن يتخطاها إلى عهد عمر ، ظنًّا منهم أن أشهراً معدودات لا تتسع لعظائم تغير وجه العالم.ولو أن هؤلاء ذكروا أن الثورات التى نقلت الإنسانية أطواراً تمَّت كلها فى مثل هذه الفترة ، وأن العالم جعل يمتثل مبادئ هذه الثورات بعد ذلك شيئاً فشيئاً ويفيد منها لرقىّ الإنسانية فى توجهها إلى الكمال ، لما سارعوا إلى الانتقال من عهد الثورة الروحية التى أعلنها رسول الله فى العالم كله إلى الإمبراطورية المترامية الأطراف التى دانت لهذه الثورة ، دون أن يقفوا مليًّا عند هذه الفترة التى حاول العرب فيها أن يقوموا برد الفعل فى وجه ما جاء محمد به ، شأنهم فى ذلك شأن الناس فى كل زمان ومكان ، إذ يحاربون المبادئ الجديدة ، يحاولون إطفاء نورها . ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

اتصال عظمته فى الخلافة بعظمته فى الصحبة

كيف استطاع أبو بكر أن يواجه الصعاب التى استفتحت عهده ، وأن يثبت لها ويتغلب عليها ، وأن يبدأ التمهيد للفتح وللإمبراطورية وهذه الصعاب قائمة ؟ لقد كان لصفاته الذاتية أثر كبير فى ذلك لا ريب . لكن هذه الصفات وحدها ما كانت لتبلغ به ما بلغ لولا صحبته الرسول عشرين سنة كاملة . ولذا يُجمع المؤرخون على أن عظمة الصدّيق فى خلافته تتصل بعظمته فى صحبة

الرسول أوثق اتصال . فهو قد أُشرب أثناء هذه الصحبة رو ح الدين الذى جاء به محمد ، وأدرك مقاصده وأغراضه كاملة إدراك إلهام لا يتطرق إليه الخطأ ولا الريب . ومما أُشربه وأدركه بإلهامه أن الإيمان قوة لا يغلبها غالب ما تنزه المؤمن عن كل غرض إلا ابتغاء الحق لوجه الحق وحده . هذه حقيقة روحية أدركها كثيرون فى عصور شتى ، لكنهم أدركوها بعقولهم . أما أبو بكر فأدركها بقلبه ، ورآها بعينه ماثلة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عمله .

أثر التأسى فيه وما استلهمه

وهذا الإيمان الصادق بالحق هو الذى دفعه ليخالف أصحابه فى أمر المرتدّين ، ويُصرّ على قتالهم وإن خر ج إليهم وحده . وما له لا يفعل وقد رأى النبى يقف وحيداً يدعو إلى الله بمكة فيخالفه أهل مكة جميعًا ، ثم يغرونه بالمال والملك وعظمة الجاه ، ثم يحاربونه يبتغون بذلك أن يصدوه عن الحق الذى يدعو إليه . فلا يفتُر عن أن يقول : «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلِك فيه ، ما تركته ! » .

وماله لا يفعل وقد رأى النبى فى أعقاب أُحُد ، وبعد أن انتصرت قريش على جيوش المسلمين فيها ، يرتدّ لغده فيمن بقى من المسلمين ممن شهد أحداً ، ويتعقب قريشاً ، وينزل حمراء الأسد ويقيم بها ثلاثة أيام ، يوقد النار طول ليله ، حتى تزعزعت همة قريش وانصرفت إلى مكة ، وقد استرد المسلمون من مكانتهم ما زعزعته أُحد !

ثم ماله لا يفعل وقد رأى النبى يقف صبح حُنين فى عدد قليل من أصحابه ينادى فى جيش المسلمين إذ يولون الأدبار : « أين أيها الناس ، أين ! » . وهذه الألوف المؤلفة تفر تولاّها الفزع . فلما عرف الناس موقف النبى وسمعوا نداء العباس : « يا معشر الأنصار الذين آوَوْا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، إن محمداً حىٌّ فهلموا » . تصايحوا من كل جانب : « لبيك ، لبيك » ، وارتدوا إلى المعركة مستبسلين !

أىّ تأسٍّ كهذا التأسّى يُلهم المرء أن الإيمان قوة لا يغلبها غالب ما تنزه المؤمن عن كل غرض إلا ابتغاء الحق لوجه الحق وحده ! ! وأى رجل له من الإيمان ما لأبى بكر لا يضاعف تأسّيه بالرسول قوة نفسه فيجعله من عناصر الوجود الحاسمة القاهرة . هذه هى القوة الروحية التى لا سلطان لشىء فى الحياة عليها ،

والتى لا تعرف الضعف ولا التردد ، ولا يغلبها لذلك غالب !

القوة الروحية للإيمان

وهذه الأسوة الروحية التى التمسها أبو بكر فى رسول الله ، والتى جعلت للمسلمين الغلب على المرتدين من سائر العرب ، قد دفعت إلى نفوس المسلمين جميعًا حمية سمت بهم إلى الإيمان بأنهم لا غالب لهم من دون الله ، وحببت إليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصراً دونه كل نصر . وأنت ستقرأ فى هذا الكتاب من آيات ذلك ما قلّ فى التاريخ نظيره . لقد كان المسلمون فى عهد رسول الله مطمئنين إلى النصر ؛ لأن الله وعد به رسوله . فكان يمده بالملائكة . وكان يوحى إليه ما يحقق وعده جل ثناؤه . أما فى عهد أبى بكر ؛ وقد انتهى الوحى باختيار الله إليه رسوله ، فقد أصبح الإيمان وحده ، وأصبح التأسى برسول الله وبخليفته فى السمو بهذا الإيمان إلى ما فوق كل اعتبار فى هذه الحياة الدنيا ، وأصبح الاستشهاد فى سبيل هذا الإيمان ، سرّ القوة ، وسر النصر ، وسر الرقى بما تنطوى عليه نفوسنا من معان إنسانية رفيعة إلى غاية الكمال الإنسانى .

هذه حقيقة روحية استلهمها الصديق من تأسيه بالنبى ، فجلتها لنا أعمال المسلمين فى خلافته وبتوجيهه على نحو من الوضوح يجعلنا نلمسها وكأنها أمر مادى تقع عليه الحواس بمقدار ما تمتثله الروح ونحن نلمس هذه الحقيقة الروحية فى حروب الرّدة كما نلمسها فى فتح العراق وفى فتح الشام . فلولا هذا الإيمان ما استطاع المسلمون ، على قلتهم ، أن يُتموا فى عهد الخليفة الأول ما تم من جلائل الأعمال ، وما مهّد للإمبراطورية الإسلامية العظيمة .

الحقيقة الاجتماعية بعد الحقيقة الروحية

وقد استلهم أبو بكر من تأسيه بالرسول ، إلى جانب هذه الحقيقة الروحية ، حقيقة اجتماعية بعيدة الأثر فى حياة الأمم . فكل أمة تعتزّ بنفسها ، وتطمئن إلى قوتها ، وتشعر بأن عليها رسالة واجبة الأداء للعالم ، وبأن العالم يجب أن يسمع لهذه الرسالة — مثل هذه الأمة لا يقف فى سبيلها سلطان وإن عظم ، ولا تصدها عن أداء رسالتها قوة من القوى .

وتضافر هاتين الحقيقتين ، الروحية والاجتماعية ، قد كان فى كل العصور

والأمم أساسًا لفوز الشعوب التى تندفع متأثره بسلطانهما ولنجاح الرسالة التى تدعو هذه الشعوب لها .

والأمر كذلك بخاصة إذا قامت هذه الرسالة على أساس من الدعوة إلى نبذ الظلم ، والحرص على عدل قوامه المساواة الصحيحة بين الناس . ولطالما قامت إمبراطوريات على هذا الأساس فى مختلف حِقب التاريخ ، ولطالما تداعت إمبراطوريات بعد قيامها لأنها حادت عن هذه الطريق ، فاتخذ خصومها انحرافها عنها وسيلة لمناوأتها ومقاومتها .

أدرك وآمن ان الإسلام دين المساواة

والمساواة سَدَى الإسلام ، وهو لذلك إمبراطورى اللُّحمة . هذه حقيقة ندركها اليوم بعقولنا كما أدركها كثير ممن سبقونا بعقولهم ، ثم لم يستطيعوا ولم نستطع أن نحتفظ بالإمبراطورية الإسلامية فى العالم لظروف خاصة بنا أو خارجة عن إرادتنا . أما أبو بكر فأدركها بإلهامه وآمن بها عن يقين ، فدفع المسلمين لتنفيذها ، فأقروها فى العالم فاستقرت أجيالاً وقرونًا .

أدرك أبو بكر بإلهامه أن الإسلام فى صفاء جوهره دين مساواة بين الناس جميعًا . فالدعوة به لم توجه إلى قوم بعينهم ، وإنما وجهت إلى الناس كافة . وقد اصطفى رسول الله فى حياته موالى رفعهم إلى أعز مكانة وأسماها ، كما أقر جماعة من العجم على حكم العرب . فسلمان الفارسى كان من خاصّته المقربين . وزيد بن حارثة ، مولاه الذى اشترته خديجة ثم وهبته له فأعتقه وتبناه ، كان القائد فى غزوة مؤتة كما كان على رأس أعمال كثيرة قبلها . وأسامة ابنه هو الذى عقد له الرسول قبيل مرضه الأخير لواء جيش يضم جِلة المهاجرين والأنصار ، ومن بينهم أبو بكر وعمر ؛ وقد أقر صلى الله عليه وسلم بازان الفارسى على حكم اليمن . ولم يكن الناس يتفاوتون عند رسول الله لعروبتهم ولا لمكانة قبائلهم ، وإنما كانوا يتفاوتون بأعمالهم . وكان من أصحاب مشورة رسول الله ومن أولى الرأى بين المسلمين شبانٌ أبرزهم إلى الصف الأول حسن إيمانهم وجميل بلائهم فى سبيل الله . وكانت سيرة رسول الله هذه بعض ما أمر الله به فى كتابه ، إذ فاضل بين الناس بالتقوى ، وإذ جعل جزاءهم رهنًا بعملهم ، وإذ رفع بعضهم فوق بعض درجات بهذا العمل وهذه التقوى . لا جَرَمَ ، وتلك سنة

رسول الله، أن يخفف العرب من غُلوّاء نُعرتهم الجنسية، وإن أقاموا على اعتزازهم بها ، وإن جعلوا اصطفاء الله نبيه من بينهم حجتهم على سمو مكانتها . ولا جَرَمَ أن يتخذ أبو بكر من هذه المساواة الإسلامية بين الناس وبين الأجناس سنّته ، فتكون القوة التى تنهزم أمامها جيوش الفرس وجيوش الروم .

وأن الإسلام إمبراطورى فى جوهره

وأدرك أبو بكر بإلهامه أن الإسلام إمبراطورى فى جوهره ؛ فالدعوة إليه لم تنحصر فى العرب ، بل هى دعوة إلى الحق موجهة إلى الناس كافة فى مشارق الأرض ومغاربها . أما وذلك مداها ، وقد وجه النبى رسله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى دين الله ، فحق على كل من آمن بهذا الدين أن يدعو إليه ، وأن ينشر كلمته هدى للناس ورحمة . ولكل مسلم فى رسول الله أسوة حسنة . لقد أذاع رسول الله الدعوة فى الناس على اختلاف أجناسهم . فلينشر خلفاؤه هذه الدعوة فى أنحاء الأرض جميعاً ، وليجاهدوا فى سبيل حريتها ، لا يستكرهون أحداً ولا يقبلون من أحد أن يصدهم عن الحق الذى اهتدوا إليه . وليجعلوا العالم كله ميدان دعوتهم إلى هذا الحق وإن أصابهم فى سبيل الله ما أصابهم ؛ فإن استُشهدوا فلهم عند الله جزاء الشهداء .

هذه المبادئ الجوهرية التى قامت دعوة النبى العربى على أساسها ، والتى أدركها أبو بكر أدقّ الإدراك بإلهامه لما كان من صحبته رسول الله وتشبعه بتعاليمه ، هى التى طوّعت للصدّيق أن يذلل ما استفتح عهده من صعاب وأن يتغلب عليها ، وهى التى أسرعت بالإمبراطورية الإسلامية إلى أنحاء العالم وأظلت أمماً كثيرة منه بلوائها . ولقد ظلت هذه الأمم أجيالاً متعاقبة ناهضة بعبء الحضارة فى العالم ، ثم أدركها الهَرَم الذى يدرك الأمم والإمبراطوريات ؛ ثم تولتها السِّنَة الطويلة التى تقابل موت الأفراد .

إلام يرجع ما أصاب الإمبراطورية الإسلامية من انحلال ؟

أفيرجع هذا الهرم ثم هذه السنة الطويلة إلى أن المبادئ الجوهرية تبين فسادها ، أم يرجعان إلى أن الأمم التى انحلّت عن الإمبراطورية الإسلامية جحدت هذه المبادئ وأخذت بنقيضها فأصابها الهرم والاضمحلال بصنيعها ؟! ذلك كل تاريخ الإمبراطورية الإسلامية فى قيامها وعظمتها وتدهورها . وهو

تاريخ جدير بأن يدوّن على طريقة من البحث العلمى الوثيق الذى لا يعرف التعصب ولا يرضاه ، والذى يرمى إلى تحليل الحوادث وردها إلى أسبابها تحليلا يقره العقل ويتفق لذلك وما ركب فى الطبيعة الإنسانية من نزوع روحى إلى الكمال ، ومن تشبث مع ذلك بأهداب هذه الحياة الدنيا تدعونا إليه أهواؤنا وشهواتنا ، فتحول بيننا وبين إدراك الغاية التى نبغى من هذا الكمال .

لا أرانى فى حاجة إلى أن أقول إن هذا الهرم وهذه السنّة يرجعان إلى جحود الأمم التى انحلّت عن الإمبراطورية الإسلامية للمبادئ الجوهرية التى قامت هذه الإمبراطورية على أساسها ، مبادئ الإسلام فى صفاء جوهره . ذلك أمر يلمسه المحقق المنصف لتاريخ هذه الإمبراطورية ويراه فى أطواره المتصلة منذ بدأ الخلاف بين المسلمين من أهل شبه الجزيرة إلى أن جسّمت الفُرْقة بين العرب والعجم شقة هذا الخلاف وفتحت به الأبواب واسعة للتدهور والانحلال .

غبطتى بتأريخى للصديق

ليس يتسع هذا التقديم لتفصيل هذا الأمر ولا لإجماله . فحسبى هذه الإشارة إليه . ولأقف هنا فى حدود العهد القصير العظيم ، عهد الصدّيق أبى بكر . ولأسجل ما كنت أشعر به من فيض المسرّة حين تأريخى له . وأكبر رجائى أن أكون فيما كتبت عنه قد أرضيت فى نفسى حب الحق ، وبلغت بعض ما أردت من رسم الصورة التى حاولتها دقيقة ، فيها من الحياة ما يبعث الماضى مجلوّاً على صفحة الحاضر . وأقول بعض ما أردت ، لأننى كنت أحس دائماً أن هذه الصورة ينقصها شىء غير قليل من الكمال لم يتسن لى أن أصل إليه لأسباب مختلفة .

وإننى لتُضاعَف غبطتى لو أن كتابى هذا نقل إلى نفس قارئه صورة واضحة من عهد الصدّيق خليل النبى العربى وصفيّه . قد يشوب مطمعى هذا بعض الغلوّ . فلعهد الصديق ، كما قدمت ، صورة خاصة تامة التكوين يستشفها الإنسان من خلال ما كتب عنه ويتصورها فى كمال بهائها . لكن البلوغ بصورة ما حدّ الكمال محتاج إلى جهد متصل يتعاقب على الأجيال ، ويتناوله التمحيص من نواحيه المختلفة . ولم يبذل من الجهد فى أمر الصدّيق وعهده ما يدنى من هذا الكمال ؛ فهو لا يزال مفتقراً إلى جهود جديدة يتضافر فيها

حاجة عهده إلى الجهود لاضطراب المراجع فيه

البحث والتمحيص مع الموازنة بالعصر الذى عاش الصدّيق فيه . وبحياة الأمم صاحبة الأثر فى هذا العصر . ولست فى ريب من أن هذه الجهود ستبذل عما قريب ، وستعاون على تمام الصورة التى تظهر هذا العهد واضحاً ، مجلوة بينة تفاصيله .

وعهد الصدّيق أحوج إلى هذا الجهد من غيره من العهود . فالمراجع العربية القديمة التى تتحدث عنه يشوبها اضطراب يجعل تتبع الحوادث المروية فيها عسيراً بعض الأحيان كل العسر . ثم إنها كثيراً ما تثبت روايات هى أدنى إلى الخرافة منها إلى التاريخ . وقد يجد الإنسان فى موازنة بعض هذه المراجع ببعض ما يعينه على تمحيص الحوادث ، لكنها تتواتر روايتها أحياناً لحوادث يقف الإنسان منها موقف الحيرة . فلا يسعه إلا أن يثبتها مع الإشارة إلى ما يخالجه من الريبة فيها .

عذر المؤرخين عما فى رواياتهم من اضطراب

وإنى لأجد للمؤرخين الأولين أبلغ العذر عما شاب رواياتهم من اضطراب كان له أثره فى جهود من بعدهم إلى عصرنا الحاضر . فهذه الفترة التى تولى الصدّيق فيها أمر المسلمين كانت فترة جهاد أى جهاد ، حمل فيها كل من آمن بالله ورسوله عبئاً عظيماً لتأييد الدعوة إلى دين الله وما جاء به رسوله من عنده . اندفع هؤلاء جميعاً إلى ميادين النضال ، يجاهدون فى سبيل الله ، يَقتلون ويُقتَلون ، مستهينين بالحياة ونعمائها ، مؤثرين البأساء ، صابرين على الضراء ، واهبين أنفسهم لله ، لا يبتغون عن جهادهم أجراً إلا مثوبته جل شأنه . لم يكن يوم من أيامهم ينقضى فى طمأنينة أو أمن . ولم يكن أحد منهم يفكر فى أمسه لأن غده يطالبه بأكثر مما عمل فى ذلك الأمس . لذلك لم يفرغ أحد لتدوين ما حوته هذه الفترة من جسام الحوادث تدويناً منظماً ؛ وإنما تناقل الناس من بعدُ أنباءها يروى بعضهم لبعض ، ويتناقلها بعضهم عن بعض ، ثم لا يروونها ويتناقلونها بمثل ما يروون به ما حدث فى عهد الرسول من تقديس وإجلال . وكيف يفعلون وقد كانوا فى شغل متصل بالفتح وتنظيم الإمبراطورية التى تزداد كل يوم فسحة وسعة !! لذلك كان لابد لمؤرخ هذا العهد من تقليب الروايات وموازنتها واقتناص الحقيقة من خلالها . وهذا جهد شاق

حاوله الأقدمون على طريقتهم . ومع تقديرنا لجهدهم وإكبارنا لشأنهم ، فإنهم لم يُبرزوا عهد الصدّيق وحكمه فى صورة يجلو وضوحها ما انطوى عليه من قوة تقف النظر وتبهر اللب وتثير فى النفس غاية الإعجاب .

من أمثلة الاضطراب فى المراجع

وحسبك أن ترجع إلى سجل المراجع التى أخذنا عنها هذا الكتاب ، وأن تتلو فصوله لتقدر مبلغ الدقة فيما نقوله عن المتقدم منها . فبعض هذه المراجع لا يتعرض ، إلا لماماً ، لأمور جليلة الخطر ترويها المراجع الأخرى مفصلة أدق التفصيل . فالطبرى وابن الأثير والبلاذرى لا يكادون يتعرضون لجمع القرآن ؛ وجمع القرآن من جلائل الأعمال التى ازدان بها عهد الصدّيق ، إن لم يكن أجلّها . وما يتعرض له هؤلاء المؤرخون من رواية الحوادث عن حروب الرّدة وعن فتح العراق ثم فتح الشام يقع عليه الخلاف بينهم ، بل ترد الروايات المختلفة فى أمره فى الكتاب الواحد من كتبهم ، حتى ليحار الإنسان أىّ الروايات يأخذ وأيها يدع . والخلاف على الزمن الذى حدثت فيه الوقائع لا يقل عن الخلاف فى تصوير الوقائع جسامة . وكثيراً ما يكون تحديد التاريخ لبعض هذه الوقائع مغامرة لا تستند إلى أساس يمكن الاعتماد عليه فى شىء من الدقة . ونسبة بعض الحوادث إلى بعض محير كذلك . فالطبرى يروى أن حروب الرّدة وقعت فى السنة الحادية عشرة للهجرة ، وأن فتح العراق تم فى السنة الثانية عشرة ، وأن فتح الشام تم فى السنة الثالثة عشرة . وأنت تكاد تظن إذ تقرأ هذا التعاقب الزمنى أن فتح العراق لم يبدأ إلا بعد الفراغ من حروب الردة ، وأن فتح الشام لم يبدأ إلا بعد أن استقر الأمر فى العراق . لكن شيئاً من التدقيق فى مراجعة الحوادث ووقوعها لا يلبث أن يحملك على الريبة فى هذا التعاقب . فإذا زدت فى التدقيق تبينت أن فتح العراق بدأ وحروب الردة لا تزال قائمة ، وأن فتح الشام بدأ فى أعقاب حروب الردة وجيوش خالد بن الوليد لا تزال تعالج إقرار السكينة فى العراق وتتوقع غزوات فيه جديدة .

تعذر تتبع الحوادث فى تسلسلها التاريخى

وفى تسلسلها الجغرافى

ولا يقف مثار الحيرة عند هذا ، فكثيراً ما يتعذر تتبع الحوادث فى تسلسلها الجغرافى . بل إن بعض الروايات ليتنافى مع هذا التسلسل . دع عنك تغير أسماء الأماكن وما فى تشابه بعضها من مثار جديد للحيرة . ولقد طبع بعض المستشرقين

خرائط الإدريسى القديمة كما رسمها ، وشفعوها بخرائط رسموها على النحو المألوف لنا ، فسهّل ذلك علينا معرفة الأماكن ومواقع بعضها من بعض . ولئن يسّر ذلك لنا أن نحقق ما كان عسيراً تحقيقه فيما مضى ، لقد أثار الريب فى بعض الروايات حتى ليتعذر تصديقها . لذلك وقف بعض المؤرخين لعهد أبى بكر مترددين لا يكادون يصدّقون ما يقرءون . وكأنما صرف ذلك كله غير واحد ممن أرادوا التأريخ للإسلام عن التصدى لهذه الأمور ، فاكتفوا من عهد أبى بكر بإلمامات لا تصوره صورة كاملة تبرز كل ما لهذا العهد من جلال ، وما له فى تاريخ الإسلام وفى قيام الإمبراطورية الإسلامية من أثر حاسم .

قلة ما يرد فى المراجع عن الصديق مع أنه روح عصره

أضف إلى هذا الاضطراب فى المراجع أنها لا تتحدث عن الصدّيق أيام خلافته ما تتحدث عن خالد بن الوليد وعن القواد الذين دخلوا الشام وأقاموا به حتى جاءهم خالد من العراق ففتح وإياهم دمشق وهدم بعبقريته الحربية كل قوة معنوية للروم . وأنت إذ تقرأ هذه المراجع يكاد يخيل إليك أن أبا بكر قد أقام بالمدينة لا يشغله أمر عن العبادة . وهذا خطأ فاحش . فكل ما تم فى عهد الصدّيق كان الصدّيق روحه ومصدره . أشرنا إلى ما كان بينه وبين عمر وطائفة من المسلمين من خلاف على قتال المرتدين ومن منعوا الزكاة ، وإلى أنه تشبث بقتالهم ولو خرج إلى هذا القتال وحده . وسترى حين تتلو فصول هذا الكتاب أنه هو الذى دفع خالد بن الوليد ليسير إلى العراق يعزز قوات المُثَنّى بن حارثة الشيبانى ، وأنه هو الذى دعا العرب فى أنحاء شبه الجزيرة إلى فتح الشام . فلما أبطأ أبو عبيدة ومن معه من القواد عن التقدم فيه أمدّهم هو بخالد بن الوليد . وفى أثناء ذلك كان هو الذى ينظم بيت المال ، ويقسم الفىء بين المسلمين ، ويولى العمال ويهيمن على أعمالهم . وقد بلغ به هذا التفرغ لشئون الدولة أن انقطع عن التفكير فى كل شىء سواها من أموره الخاصة ومن أمور أهله وعياله . وهذا التفرغ التام لشئون الدولة ، دقيقها وجليلها ، هو الذى طوّع له أن يتم فى فترة وجيزة ما لا يتمه غيره فى سنوات ، بل ما قل أن يتمه غيره .

ولعل سببًا آخر كان ذا أثر فيما قدمنا عن موقف الرواة والمؤرخين من أبى بكر وعهده ؛ فهم قد حسبوا أن صحبته الرسول عشرين سنة كاملة ،

واصطفاءه صلى الله عليه وسلم إياه حتى ليقول : « لو كنت متخذاً من العباد خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا » — حسبوا أن هذا وذاك أجلّ من كل ماتم فى خلافته . ولا مِرْية فى أن مكانة الصديق من رسول الله لها فى تقديرنا جميعًا أجلُّ أثر وأعظمُ مقام ، لكن خلافة الصدّيق كانت حَلْقة أتمت هذا الأثر الجليل وتوجته .

ليس عمله فى الخلافة بأقل من الصحبة

لم يكن عمل الصدّيق فى خلافته أقل جلالا من صحبته رسول الله . بل إنه كان فى عهد الرسول ثانى اثنين ، أولهما صفىّ الله لنبوّته ومن خصّه الله برسالته وأوحى إليه كتابه ببينات من الهدى والفرقان . فالعبء الذى حمله أبو بكر أيام الرسالة كان عبء التابع المؤمن الذى لم تتلجلج قوة إيمانه بالله ورسوله . أما العبء الذى حمله بعد أن اختار الله رسوله إليه فحمله على أنه أول رجل فى المسلمين وخليفة رسول الله بينهم . لم يكن فيه تابعًا يدلى بالمشورة ، بل كان متبوعًا يشير أصحابه عليه كما كان يشير هو ومن معه على رسول الله . وقد حمل هذا العبء بإيمان وأمانة وصدق . جزاه الله وجزى المسلمين عنه أحسن الجزاء . فإذا كان صدق أبى بكر فى صحبة رسول الله من أسمى مظاهر العظمة الإنسانية القائمة على دعامة متينة من الإيمان السليم ، فتجرُّد أبى بكر فى خلافته للدفاع عن دين الله وللدعوة إليه ولإقامة الإمبراطورية الإسلامية لا يقل فى جلال سموه عن صحبته الرسول وإيمانه الصادق به وبكل ما أوحاه الله إليه . وتاريخ خلافته جدير لذلك بأن يفصّل أدق التفصيل .

أثر اضطراب المراجع فى المؤرخين

هذا الاضطراب فى المراجع ، وهذا التأثر فى تصوير عهد الخليفة الأول بعوامل لا يقرّ النقد التاريخى الكثير منها ، قد كان له ما رأيت من أثر فى كتب المتقدمين ، ثم كان له أثره فيما تلا ذلك من جهود من أخذوا عنهم وحاولوا أن يستنبطوا صورة الحقيقة كاملة من كتبهم .

ولقد بلغ هذا التأثر ببعض المتأخرين أن جعلهم لا يقفون عند عهد أبى بكر إلا لِمامًا ثم يتخطونه إلى عهد عمر فيطيلون الوقوف عنده . بل لقد يبلغ الأمر ببعضهم أن يوازن بين عهد أبى بكر وعهد عمر ليفاضل بينهما . وهذه مفاضلة لا موضع لها بين رجلين بلغ كل منهما من مراتب العظمة ما قلّ أن يبلغه سياسى

أو حاكم لأمّة فى تاريخ العالم كله . ولقد كان عهد عمر من أعظم عهود الإسلام لا ريب . فيه استقرت قواعد الإمبراطورية ، واستتب نظام الحكم ، ورفّ لواء الإسلام على مصر وغير مصر من البلاد التى اعتزّ بها الروم واعتزّ بها الفُرس . لكن هذا العهد الفاروقى العظيم مدين لعهد الصدّيق ومتمّ له كدّين خلافة الصدّيق لعهد الرسول وإتمامها له .

جهود المستشرقين ومؤرخى المسلمين

على أن الدراسات التى تمّت والكتب التى وضعت عن أبى بكر وعهده فى العصور الأخيرة كانت أدنى إلى الدقة والإنصاف . ومن الحق علىّ أن أشيد بما كان للمستشرقين من فضل السبق إلى هذه الدقة وإلى هذا الإنصاف ، على تحيز بعضهم تحيزاً دفعت إليه العاطفة الدينية . فقد صنف « الأب مارينى » كتابه عن « خلفاء محمد » فى القرن الثامن عشر ؛ وصنّف « كوسان برسفال » مؤلفه « رسالة فى تاريخ العرب » فى أوائل القرن التاسع عشر ؛ وكتاب « السير وليم ميور » عن « الخلافة الأولى » يرجع إلى سنة ١٨٨٣ . وفى أثناء ذلك ، وإلى وقتنا الحاضر ، لم يبرح المستشرقون فى ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا وغيرها من الدول يمحصون العهود الإسلامية المختلفة تمحيصهم غيرها من عصور التاريخ فى مختلف أنحاء العالم .

أما وقد ذكرت جهود المستشرقين ، فمن الحق علىّ أيضا أن أذكر جهود المؤرخين المسلمين والعرب ، وما كان من إنصافهم عهد الصدّيق ومحاولتهم الدقة فى أمره .

أرّخ السيد رفيق العظم لهذا العهد منذ بضع عشرات من السنين فى الجزء الأول من كتابه « أشهر مشاهير الإسلام » ؛ وكان متأثراً بطريقة الأقدمين فى كثير من مواقفه . وتحدّث المرحوم الشيخ محمد الخضرى فقال فى ختام محاضرة له : « إنا نقول فى ذلك قولاً صريحاً : لولا أبو بكر وعزيمته القوية ، بعد معونة الله وتأييده ، ما كان تاريخ المسلمين يسير سيره الذى عرف . حصل ذلك فى وقت استولى فيه الذهول على أفئدة المسلمين كافة حتى أقواهم شكيمة وأشدهم قلباً » .

وأفرد الأستاذ عمر أبو النصر الجزء الأول من كتابه « خلفاء محمد »

للصدّيق وعهده . كذلك تحدّث المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار وغـــيره من المؤرخين عن هذا العهد حديثًا جديراً بالتقدير .

والآن ، وقد وفقنى الله لوضع هذا الكتاب ، فهل تتيح لى الأقدار أن أردفه بآخر عن عهد عمر ، وبثالث وبرابع حتى أتم ما دار بخاطرى أن أقوم به من دراسات فى تاريخ الإمبرطورية الإسلامية ؟ ذلك أمر علمه عند ربى . لقد استقرّ منى العزم أن أدوّن لعهد عمر . لكن بين العزم والتنفيذ مدّى أرجو الله أن ييسره لى ، مع صدق يقينى بقوله تعالى :

« وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ، وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَدًا » .

وأختم هذا التقديم بالضراعة إلى الله أن يوفق العلماء والباحثين لمتابعة البحث فى حياة الصدّيق وفى عهد خلافته ، حتى تتم ببحوثهم الصورة التى حاولت أن أجلوها فى هذا الكتاب . وأحمد الله لما صادفنى من التوفيق فيما حاولت . من الله الهدى ، وبه التوفيق ، وإليه يرجع الأمر كلُّه .

محمد حسين هيكل